

الشخصيات الشرقية في معجم التراجم⁽¹⁾

بقلم د. أبو عمران سامية
جامعة الجزائر

تناولنا في مقال سابق⁽²⁾ تراجم الشخصيات المغربية والأندلسية، وفي هذا المقال ندرس بعض الشخصيات الشرقية التي وردت في المعجم المذكور وعددها يفوق بكثير المجموعة الأولى⁽³⁾. ونظراً لهذا العدد الكبير لا يمكننا أن نحلل كل ترجمة على حدة بل فضلنا تقسيم ملاحظاتنا إلى ثلاثة أصناف: نبداً بملاحظات شكلية ثم نقدم ملاحظات تتعلق بعناوين المؤلف وبالأعلام المعروضة ونتعرض في النهاية إلى الأخطاء التاريخية التي سجلناها هنا وهناك. وفي الخلاصة نتقدم بعدد من الاقتراحات قصد إثراء المعجم إذا قرّر الناشر إعادة طبعه باعتباره مرجعاً مفيداً للطلبة والباحثين وجمهور المتقنين.

1- ملاحظات شكلية:

أشار المؤلفون في تصدير المعجم إلى أنهم اعتمدوا طريقة "دائرة المعارف الإسلامية" في نقل الأسماء العربية⁽⁴⁾ مع تبسيطها، غير أنهم لم يلتزموا بذلك في جميع الحالات، على سبيل المثال: صنفوا الغزالي (ص 25) أو الطبري (ص 37) في ال يعني في حرف ا بدلاً من ترتيبهما في حرفي الغين والطاء، إلا أنهم لم يحترموا هذه القاعدة في جميع الأعلام إذ رتبوا المسعودي (ص 223) في مسعودي أي في حرف الميم بدلاً من الألف خلافاً لما فعلوا من قبل. ينبغي إذن ترتيب كل الأعلام بناء على الحرف الأول من الاسم ويترتب على ذلك تحويل "البلاذري" (ص 18) من حرف ا إلى حرف ب و"البيروني"

(ص 19) إلى حرف ب أيضاً و"الفارابي" (ص 23) إلى حرف ف و"عمر الخيام" (ص 95) إلى حرف خ...

ويبدو أن بعض المؤلفين يجهلون اللغة العربية، إذ ذكر أحدهم في ترجمة الخليفة أبي بكر (ص 9) أنه "خليفة راشدون"⁽⁵⁾ فلم ينتبه إلى أن الخليفة مفرد والراشدون جمع فكان عليه أن يقول أنه أول "الخلفاء الراشدين". وذكر أيضاً هذا المؤلف قبيلة القرشيين (ص 9) بدلاً من قبيلة "قريش". واستعمل مؤلف آخر كلمة "دار" (ص 25) في المذكر وهي في المؤنث، ثم وقع خلط بين "بيت الحكمة" و"دار الحكمة". فالمؤسسة الأولى خاصة بمدينة بغداد في العصر العباسي والثانية خاصة بمدينة القاهرة في العصر الفاطمي. ومن حين لآخر نجد مفردات في غير محلها، مثلاً: يقول المترجم لابن قتيبة (ص 175) أن المتوكل "ارتكب" الرجوع إلى الدين الصحيح كأن هذا الخليفة ارتكب جريمة، إذ هذا الفعل لا يستعمل إلا في هذه الحالة، بل قد أحسن المتوكل فعلاً بإعادة الأمور إلى أصلها. وورد خطأ أيضاً في لقب "سيف الدولة" (ص 279) إذ نقله صاحب الترجمة إلى "سيف الأسرة الحاكمة" وقد تغير كذلك معنى جملة في ترجمة "بيبرس" (ص 51) بسبب خطأ مطبعي، وحدث أحياناً أن صاحب الترجمة رتب حسب اسمه وليس حسب لقبه، مثلاً: أحمد بن حنبل (ص 16) ينبغي أن يرتب في "ابن حنبل" مثل "ابن خلدون" و"ابن رشد". وقع خطأ تارة في تاريخ الميلاد وتارة في تاريخ الوفاة. مثلاً: وجدنا أن "صلاح الدين الأيوبي" (ص 277) توفي سنة 594هـ/1198م والصحيح 589هـ/1193م و"سليم الأول" (ص 280) توفي سنة 924هـ/1520م وليس سنة 872هـ/1470م.

2- ملاحظات حول عناوين الكتب وأسماء الشخصيات

سجلنا عدة أخطاء فيما يتعلق بعناوين الكتب أو ترجمتها مثل كتاب الإمام الشافعي (ص 36) المعروف بـ "الفقه الأكبر" الذي تحول إلى "مقاصد

الفلاسفة". وقع هنا الخلط بين "الفلسفة و"الفلاسفة" وكتاب "تهافت الفلاسفة" سماه "زور الفلاسفة"⁽⁶⁾ (ص 25). ثم وجدنا في ترجمة "ابن سينا" (ص 176) أن "كتاب الشفاء"⁽⁷⁾ قد وضع خطأ في مؤلفاته الطبية -وهو كتاب فلسفي- والسبب في ذلك أن المترجم فهم "الشفاء" بمعناه الطبي وليس بمعناه النفسي. لاحظنا أحياناً أن عنوان الكتاب الأصلي قد أهمل وعوض بمعناه مثلاً في ترجمة الطبري (ص 37) "تاريخ الرسل والملوك"⁽⁸⁾ دون ذكر الأصل العربي. ولم يذكر عنوان لكتاب التفسير الذي هو "جامع البيان"⁽⁹⁾ المعروف بتفسير الطبري. وفي ترجمة "الجاحظ" (ص 21) وجدنا عنواناً لكتاب (Le Livre des métropoles) وهو يذكر في مؤلفات "الجاحظ"⁽¹⁰⁾. وفي ترجمة الأشعري (ص 17) أهمل كتاب "اللمع"⁽¹¹⁾، وفي ترجمة "البيروني" (ص 19) أهمل العنوان الأصلي لكتابه المشهور بـ "القانون المسعودي"⁽¹²⁾. سبق لنا أن سجلنا في المقال الأول الخلط الذي وقع بين "أبي بكر الرازي" و"قخر الدين الوازي" (ص 36)، قد أخطأ في ترجمة "ابن خلدون" (ص 174). ولاحظنا خطأ في نقل اسم الفيلسوف "الفارابي" إلى اللغة اللاتينية وهو أبو النصر (Avennacer)⁽¹³⁾. وفي ترجمة "الأصفهاني" صاحب "الأغاني" (ص 27) وقع تحريف في كنيته فذكر صاحب الترجمة "أبو فرج" عوض "أبو الفرج"⁽¹⁴⁾، وفي ترجمة "حنين بن إسحاق" (ص 171) وقع تحريف في اسم أستاذه الطبيب "ابن مساويه"، كما وقع تحريف في اسم "ابن خلويه" الذي جمع ديوان "أبي فراس" (ص 9). وفي ترجمة بيبيرس (ص 51) تحول اسم السلطان "قوطز" إلى "قوروز"⁽¹⁵⁾. ولاحظنا كذلك تحريف اسم الوزير "فخر الدولة" (Fakhr al-Dawla) (ص 233) الذي سمي "فكر الدولة". كما لاحظنا في اسم المؤرخ "عماد الدين الأصفهاني" (ص 277) الذي سماه صاحب الترجمة "ابن الأصفهاني"⁽¹⁶⁾.

3- أخطاء تاريخية:

يجب إعادة ترجمة الرسول صلعم - (ص 227-228) لأنها بعيدة كل البعد عن الحقيقة التاريخية وفيها الكثير من التعصب والنقص. إنها لا تبين أن الرسول صلعم - قد أسس دولة وجاء بدين جديد، ولا تشير الترجمة إلى أخلاقه الحميدة وكانت معروفة قبل بداية الرسالة إذ كان يسمى "الأمين". ولم يبرز فيها رجل الدولة ولا رجل الدعوة رغم أن معظم المؤرخين اعترفوا بأنه يعد من أكبر الشخصيات في مسيرة الإنسانية. يكفي أن نذكر هنا برأي الأديب الفرنسي المعروف "لامارتين" (Lamartine) إذ قال "وإذا قسناه على المقاييس التي تقدر بها العظمة البشرية، من هو الرجل الذي كان أعظم منه"⁽¹⁷⁾. ويمكن أيضاً أن نطلع على ترجمات حديثة مثل التي ألفها العلامة محمد حميد الله⁽¹⁸⁾ والمؤلف الإنكليزي المسلم "مارتين لينغز"⁽¹⁹⁾. ونلاحظ أيضاً في ترجمة الرسول صلعم - عبارات غريبة مثل "تعريب الوحي" (ص 27) "وحصل على غنيمة كبيرة" (ص 227)، واحتل مكة "بدون أن تواجهه مقاومة حقيقية" (ص 228). وتكونت عصابات وتخاصمت! (ص 228)، وكل هذه العبارات ينبغي أن يعاد فيها النظر لتحقيق وتهذب.

وبعد ذلك نجد بعض الأخطاء في تراجم الخلفاء الراشدين، إذ قيل عن الخليفة "أبي بكر" (ص 9) أنه "تاجر متواضع" وهذا غير صحيح بل كان تلجراً غنياً وقد أنفق من ماله الخاص على أخوانه في الدين⁽²⁰⁾. أما الخليفة "عثمان" فهو الذي أشرف فعلاً على تدوين القرآن العظيم (ص 298) ولم تحدث خلافات في هذا الموضوع والمشهور أن مصحف عثمان هو المتداول في العالم الإسلامي إلى يومنا هذا، وفيما يخص الإمام "علي بن أبي طالب" (ص 26) فقد تبني صاحب الترجمة إدعاء "معاوية" الذي شوّه الحقيقة ليستولي على الحكم، بل اشتهر الإمام علي بتقواه وحزمه ولم يعرف بسوء التصرف أو "بحدة المزاج".

ولم يتفوق معاوية إلا بالحيلة والمناورة، وأما زوجته السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلعم- فوصفها صاحب الترجمة وصفاً غير لائق بها (ص 121) ويبدو أنه ابتعد عن الحقيقة واختار رواية المستشرق "لامنس" (Lammens) المعادية لها وللأسرة الشرقية، وأهمل رواية المستشرق "ماسينيون" (Massignon) الذي سجل الواقع المعروف ويمكن للقارئ أن يراجع ذلك في مقالة "دائرة المعارف الإسلامية"⁽²¹⁾. وفي ترجمة "حنين بن إسحاق" (ص 171) زعم المؤلف أن هذا العالم كان يحسن اللغة السريانية أكثر من اللغة العربية نظراً لصعوبة هذه الأخيرة. وهذا رأي غريب إذ يعتبر حنين بن إسحاق من أعظم الكتاب في الأدب العربي⁽²²⁾. ومما لا شك فيه أن الصعوبة لم يجدها "حنين" في النحو بل في جدة المصطلحات العلمية التي اجتهد اجتهداً كبيراً في صيغتها. وذكر صاحب الترجمة أن "حنين" ألف كذلك تاريخاً امتد من عهد آدم -عليه السلام- إلى عهد المتوكل (ص 171) إلا أن هذا الكتاب ليس له أثر في قائمة مؤلفاته⁽²³⁾. ويصطدم القارئ برأي ورد في ترجمة الخليفة "المنصور" العباسي وهو أن دولته كانت علمانية في جوهرها (ص 28).

وهذا غير صحيح إذ أن الدولة العباسية كانت دولة إسلامية من بدايتها إلى نهايتها، وذهب المستشرق الألماني بروكلمان (Brockelmann) إلى القول بأنه تحقق في عهده "المتل الأعلى الثيوقراطي"⁽²⁴⁾. ويتعجب القارئ أيضاً مما قاله المترجم عن الخليفة "هارون الرشيد" (ص 153-154) إذ سجل "أنه من الصعب جداً بعد الإطلاع على المصادر الإسلامية اعتبار هارون الرشيد ملكاً عظيماً أم قاصراً". وخلافاً لذلك أجمع المؤرخون على أن "هارون الرشيد" كان من أعظم الخلفاء العباسيين، ولخص بروكلمان رأيهم حيث قال: "بلغت الخلافة العباسية أوج سلطانها وقوتها في عهده"⁽²⁵⁾.

وفي ترجمة "الجاحظ" ورد أن هذا المفكر كان من أهل السنة ومعارضاً للمعتزلة (ص 21)، وهذا خطأ واضح إذ "الجاحظ" لم يكن من أهل السنة بل

كان من أقطاب المعتزلة وكان زعيم مدرسة فيها اشتهرت بـ "الجاحظية"⁽²⁶⁾. وورد أيضاً خطأ في حق "المسعودي" وذلك في ترجمة "معاوية" (ص 226) إذ اعتبره صاحب الترجمة من الكتاب المتحيزين جداً. وهذا غير صحيح إطلاقاً. وفي ترجمة "أبي الحسن الأشعري" (ص 18) ذكر صاحبها أن هذا العالم له عشرون كتاباً في المناظرات ولم يبق منها سوى كتاب "اللمع" ولكن "الأشعري" لم يكن مناظراً فقط بل كان متكلماً، فنجد له عدة كتب منها "مقالات الإسلاميين"⁽²⁷⁾ وهو من أهم كتبه، إذ عرف بالمذاهب الإسلامية، وكتاب "الإبانة عن أصول الديانة"⁽²⁸⁾. وفي ترجمة "أبي فراس" نجد إشارة إلى أن قريبه "سيف الدولة" لم يسارع في إخراجه من السجن في مدينة القسطنطينية (ص 9) إنما الأمر ليس كذلك بل أراد "سيف الدولة" إطلاق سراح جميع المعتقلين⁽²⁹⁾.

وعند ذكر "البيروني" ادعى صاحب ترجمته أن هذا المفكر لم يعتمد على الإسلام في مؤلفاته (ص 9) غير أن البيروني أشار إلى ارتباطه بالدين الإسلامي في كتاب الهند⁽³⁰⁾، وذلك عندما قارن بين الإسلام ومعتقدات الهند. وورد كذلك في الترجمة أن البيروني كان يمجّد اللغة العربية التي استعملها في مؤلفاته العلمية (ص 30)، رغم أنه تعود على اللغة الإيرانية، ولكنه لم يجد فيها المصطلحات العلمية ولذلك فضل عليها اللغة العربية⁽³¹⁾. وورد في ترجمة "الغزالي" شيء غريب وهو أن الإمام أصيب بمرض عصبي فتخلّى عن التدريس وحياة الرفاهية، فاختر حياة الزهد إلى أن توفي (ص 25)، غير أن المؤرخين لم يذكروا هذا "المرض العصبي"، وإنما سجلوا أن الإمام مرّ بأزمة صوفية بناءً على ما ذكره في كتاب "المنقذ من الظلال" إذ قال: ... دخلت الشام... لا شغل لي إلا العزلة والخلو... ودمت على ذلك مقدار عشر سنين⁽³²⁾. وإذا زهد الغزالي فعلاً في الجاه والتدريس الرسمي فإنه لم يتخل عن تكوين الموردين⁽³³⁾، وهنا ينبغي التذكير بأن السبب في عزله يعود إلى تخوفه من الباطنية الذين اغتالوا صديقه الوزير نظام الملك سنة 1092/5485. ولذلك

غادر بغداد واختفى في دمشق. وهناك خطأ آخر ينسب للغزالي هو علاقته الغامضة بالأشعري، وقد يفهم من كلام المترجم أنه أخذ شيئاً من التصوف عن الأشعري في حين أن الإمام الأشعري لم يعتن بالتصوف الذي انغمس فيه الغزالي فيما بعد. ونلاحظ كذلك عبارة غامضة في نهاية الترجمة بحيث لا يفهم القارئ لماذا عارض عدد من المفكرين الإمام الغزالي.

ومن الغريب أن نجد في ترجمة أبي نواس أن الشاعر قد تمرّد على الدين صراحة (ص 11) ويبدو أن هذا الكلام فيه شيء من المبالغة وإن كان أبو نواس قد انحرفت سيرته فعلاً في نظر معاصريه ولكنه تاب في آخر حياته كما تبدل على ذلك زهدياته. وهناك خطأ آخر في ترجمة نظام الملك (ص 233) حيث ورد فيها أن ملك شاه قد أمر باغتيال وزيره نظام الملك، ومن المشهور أن هذا الاغتيال تم على يد الباطنية الإسماعيلية⁽³⁴⁾، الذين خصّص لهم الغزالي كتاباً بعنوان "قضائح الباطنية"⁽³⁵⁾. وهناك تحامل على السلطان "مراد الثاني" (ص 228-229) لا مبرر له وقد أهمل صاحب ترجمته فضل هذا السلطان الذي كانت له شخصية بارزة، وقد بدأت النهضة العثمانية في عصره⁽³⁶⁾. ويلاحظ كذلك خلل في المنهجية إذ وردت في ترجمتي "سليم الأول" (ص 280) و"سنان" (ص 283) حيث ولد الأول سنة 868هـ/1464م، والثاني سنة 894هـ/1489م. فهما لا ينتميان إلى العصر الوسيط وقد حدد المعجم الفترة التاريخية التي تناولها ما بين 475م و1453م.

وفي الختام نريد أن نقترح على المؤلفين إضافة شخصيات بارزة كما فعلنا في المقال الأول:

-في بداية الإسلام، أبو ذر الغفاري 532/653م، وعمرو بن العاص 42هـ/663م، وعائشة أم المؤمنين، وبلال 21هـ/641م، والحسين 61هـ/680م، وسلمان الفارسي 55هـ/678م، والفرزدق 110هـ/728م، والحجاج بن يوسف 95هـ/714م.

-في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط، ناصر خسرو 452هـ/1060م،
وابن قلاوون 689هـ/1292م، وجلال الدين الرومي 672هـ/1273م،
والمقدسي 620هـ/1223م، وابن تيمية 728هـ/1328م.

ويمكن الاستعانة هنا بالمتخصصين المعروفين سواء من الغرب أو من
العالم الإسلامي على أساس أن يكون اعتمادهم على المؤلفات الأصلية.
ويستحسن أن يقع التركيز على التبادل الثقافي بين الشعوب والحضارات الغربية
والشرقية، والقصد من ذلك التعرف الصحيح على العصر الوسيط وهو فترة
غنية بالأحداث والشخصيات، وإن كان الجمهور في الغرب لا يعيرها الاهتمام
المطلوب بل يعده من العصور المظلمة ويقلل من قيمته بالنسبة للعصور
الحديثة. وقد ساهم "معجم التراجم" هذا فعلاً في إعادة الاعتبار إلى هذه الفترة
الهامة من تاريخ البحر الأبيض المتوسط غرباً وشرقاً.

العلماء المسلمون في الأندلس

1- معجم التراجم، القرون الوسطى، أشرف عليه جان ماري بيزيير، ونشره أرماني كولن، باريس 1993، 310 صفحة.

Dictionnaire des biographies (Le Moyen Age), Collection Cursus dirigée par Jean-Marie Bizière. Edit. A. Colin, Paris, 1993, 310 pages.

2- انظر د. أبو عمران سامية، ملاحظات حول "معجم التراجم" مجلة المبرز، العدد 4، المدرسة العليا للآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، يناير 1995.

3- تناول المعجم 5 شخصيات من المغرب والأندلس و57 شخصية من الشرق.

4- انظر تصدير المعجم، ص6.

5- نفس الملاحظة تنطبق على الخلفاء: علي ص 26، وعمر ص 594، وعثمان

298.

6- Vanité des philosophes.

7- ابن سينا، الشفاء، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،

1969/51379م.

8- ط، القاهرة 1960، 10 أجزاء.

9- ط، القاهرة، 1954، 60 جزءاً.

10- انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ط مكتبة عيسى الحلبي، القاهرة، 1936/51335م، ج.13، ص 94-95.

11- مطبعة مصر، القاهرة، 1955.

12- القانون المسعودي في الهيئة والنجوم، حيدر باد، 1954-1956، ج 3.

13- انظر:

R. Caratini, Le Génie de l'islamisme, edit. Lafon, Paris, 1992, P.56.

14- انظر ياقوت الحموي، نفس المصدر، ج13، ص94.

15- انظر بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار العلم للملايين، 50، بيروت 1968، ص 365.

16- انظر ياقوت الحموي، نفس المصدر، ج 19، ص11.

17- انظر:

Lamartine, *Histoire de la Turquie*, Paris, 1854, cité par H. Bammate, Visages de l'Islam, edit, Payot, Lausanne, 1946, p.13.

18- انظر:

M. Hamidullah, *Le Prophète de l'Islam*, sa vie, son oeuvre, Paris, 1992, 2 vol.

19- انظر:

M. Lings, *Le Prophète Muhammad*, sa vie d'après les sources les plus anciennes, Londres, 1983, traduction française par J.L. Michon, edit. Du Seuil, Paris, 1986.

20- انظر حسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، ط 6، ج ض، ص 207.

21- انظر:

V. Vaglieri, Fatima, in *Encyclopédie de l'Islam*, 2è édition, t.II, p.861-870.

22- انظر ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 257.

23- انظر نفس المصدر، ص 262-263.

24- انظر بروكلمان، نفس المصدر، ص 180.

25- انظر بروكلمان، نفس المصدر، ص 185.

26- راجع عبد القاهر البغدادي، *الفرق بين الفرق*، ط. القاهرة، بدون تاريخ، ص 24.

27- ط. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1950.

28- القاهرة، 1384 هـ.

29- انظر:

H.A.R. Gibb, Abu Firas, in E.I., 2è édition, t.II, p.122-123.

30- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرنولة، ط. لندن، 1887.

31- انظر كتاب *الصينية*، نشر برلين، 1931.

32- انظر *المنقذ من الضلال*، ط 3، المكتبة الانجلو-مصرية، القاهرة، 1962، ص 177.

33- راجع ترجمة الغزالي في *إحياء علوم الدين*، مطبعة الاستقامة، ج 1، القاهرة.

34- انظر:

Nizam al-Mulk, *Siyasat Nama*, introduction par J.P. Roux, édit. Sindbad, Paris, 1984, p.31.

35- راجع عبد الرحمن البدوي، مؤلفات الغزالي، القاهرة، 1961، ص83.

36- انظر:

B. Lewis, *Islam et laïcité: la naissance de la Turquie moderne*: Paris, 1988, p.290.